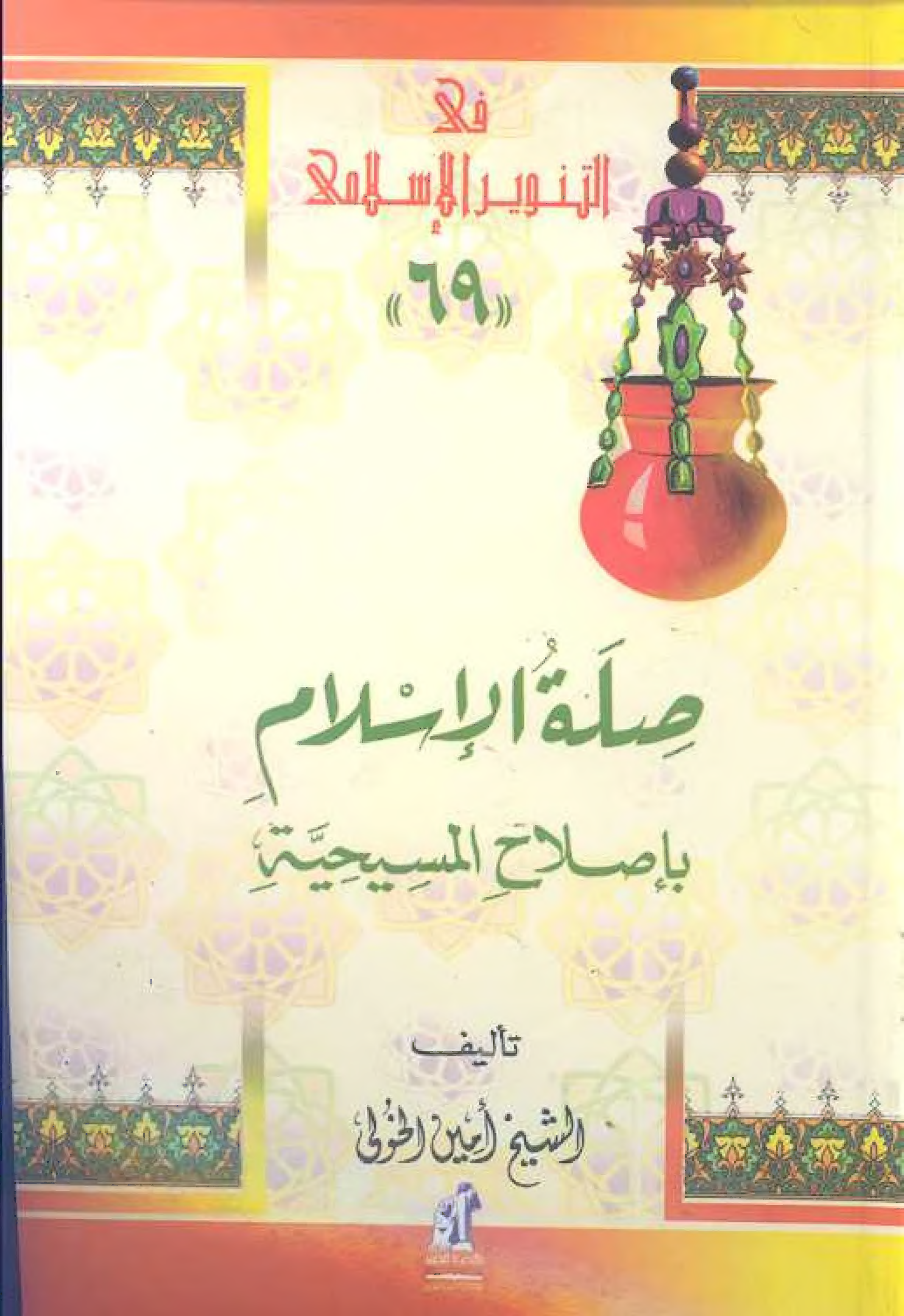

في
التنوير الإسلامي
«٦٩»
صِلَةُ الإسْلامِ
بإصلاحِ المسيحيَّةِ
تأليف
الشيخ أمين الخولي

في التنوير الإسلامي ٦٩



صِلَةُ الإسْلام بإصلاحِ المسيحيَّةِ

تأليف

الشيخ أمين الخولي

تقديم

الإمام الأكبر الشيخ

محمد مصطفى المراغي

تمهيد د. محمد عمارة



اسم الكتاب: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية
المؤلف: الشيخ أمين الخولي
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر: الطبعة الأولى أغسطس 2006م
رقم الإيداع: 2006 / 15100
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3544-2

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434(02) - 3472864(02) فاكس: 3462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء - الرقم المجاني: 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

تمهيد

لقد ترددت كثيرًا.. بل وتحرجت أن أكتب شيئًا فى التمهيد لهذه الطبعة من هذا الكتاب.. فالكاتب هو الشيخ أمين الخولى [١٣١٣ـ ١٣٨٥ هـ/ ١٨٩٥ ـ ١٩٦٦م].

والإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى [١٢٩٨ ـ ١٣٦٤ هـ/ ١٨٨١ ـ ١٩٤٥م] هو الذى قدم للطبعة الأولى من هذا الكتاب..

فأية حاجة إلى كتابة شىء آخر فى صدارة مثل هذا الكتاب؟

لكننى ترويت، فأدركت أن الكثيرين من قراء عصرنا ـ بل و«مثقفيه»! ـ قد يجهلون من هو المراغى!.. ومن هو أمين الخولى!.. إذن، فمن المفيد والواجب أن نعرفهم ـ تعريفًا موجزًا ـ بهذين العالمين العلمين، بمناسبة هذه الطبعة الجديدة لهذا الكتاب الهام والنفيس.. وذلك رفعا للجهالة فيما لا يصح جهله!.. وإعانة للقارئ المعاصر على حسن فهم الكتاب، بفهم مكانة كاتبه.. وحسن الاستفادة من التقديم الذى كتبه له الإمام المراغى..

* * *

■ أما الشيخ المراغى [١٢٩٨ ـ ١٣٦٤ هـ/ ١٨٨١ ـ ١٩٤٥م] فهو محمد مصطفى بن عبد المنعم المراغى.. ولد بالمراغة، مركز جرجا، محافظة سوهاج.. وبعد حفظ القرآن، تعلم بالأزهر ـ فى القاهرة ـ

وتتلمذ على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م].. ثم ارتقى إلى أن تولى مشيخة الأزهر مرتين، الأولى سنة ١٩٢٨م - لمدة عام - استقال بعده.. ثم عاد ثانية إلى المشيخة بناء على مطالب ثورة أزهرية عارمة فى سنة ١٩٣٥م، ليظل شيخا للأزهر حتى وفاته سنة ١٩٤٥م. وليكون أبرز من تولى هذا المنصب الرفيع فى تاريخنا الحديث..

ولقد كان المراغى أبرز العلماء الذين قادوا مسيرة التجديد بعد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده. ودوره رئيسى فيما دخل على الأزهر من إصلاحات نقلته من العصر المملوكى العثمانى إلى العصر الحديث..

ومن المناصب التى تولاها المراغى - قبل مشيخة الأزهر - القضاء.. فلقد رشحه الشيخ محمد عبده قاضيا فى السودان سنة ١٩٠٤م.. ثم عاد إلى مصر سنة ١٩٠٧م.. ثم رجع إلى السودان قاضيًا للقضاة فى المدة من ١٩٠٨م حتى سنة ١٩١٩م، وفى هذه المدة تعلم اللغة الإنجليزية.

وفى سنة ١٩٢٣ م ارتقى إلى منصب رئيس المحكمة الشرعية العليا.. وتولى زعامة التيار الإصلاحى الساعى إلى تحقيق الإصلاحات التى نادى بها الإمام محمد عبده فى القضاء وفى تجديد فقه قوانين الأحوال الشخصية والأسرة.

وعندما تكونت اللجنة التى عهد إليها بهذا الإصلاح - سنة ١٩٢٠م - أوصاها الوصية التى عبرت عن منهاجه فى تجديد

الفقه الإسلامى، ليواكب مستجدات الواقع، مع الالتزام بحدود الثوابت الشرعية.. فقال لأعضاء هذه اللجنة:

«... ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان، وأنا لا يعوزنى بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما وضعتم.

إن الشريعة الإسلامية فيها من السماحة والتوسعة ما يجعلنا نجد فى تفريعاتها وأحكامها فى القضايا المدنية والجنائية كل ما يفيدنا وينفعنا فى كل وقت، وما يوافق رغائبنا وحاجاتنا وتقدمنا فى كل حين، ونحن فى ذلك كله ملازمون لحدود شريعتنا..

إن التجديد فى الأحكام الفقهية ميسور لنا.. وما دامت المسائل الفقهية غير قطعية فهى قابلة بحكم الشرع للتجديد والتغيير...».

فلقد كان الإمام المراغى داعية للاجتهاد الذى يلبى حاجات وضرورات الواقع المتجدد.. وداعية للتيسير فى الأحكام، لرفع الحرج عن الناس.. وعاملا على التقريب بين المذاهب الإسلامية، والتأليف بين المتمذهبين بهذه المذاهب.

* * *

■ وكانت له اهتمامات بالسياسات العامة، ومداخلات فى مسائلها الكبرى.. ولقد عارض اشتراك مصر فى الحرب الاستعمارية العالمية الثانية [١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م].. وخطب من فوق منبر مسجد الرفاعى، فقال: «نسأل الله أن يجنبنا ويلات حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل»!!

فلما انزعجت الحكومة الإنجليزية - التى كانت تحتل مصر يومئذ - وضغطت على الحكومة المصرية لتصدر بيانا حول الموضوع.. وتحدث رئيس الحكومة إلى الإمام المراغى بلهجة حادة.. رد عليه الشيخ قائلا: «أمثلك يهدد شيخ الأزهر، وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة؟! ولو شئت لارتقيت منبر مسجد الحسين وأثرت عليك الرأى العام، ولو فعلت لوجدت نفسك على الفور بين عامة الشعب»!

فارتدعت الحكومة المصرية.. وصمت الإنجليز.. أمام مشيخة الإسلام، التى تستمد شرعيتها من الشريعة.. ونفوذها من الرأى العام!

* * *

■ ولقد كانت للشيخ المراغى اهتمامات بتفسير القرآن الكريم، والعلوم الإسلامية بوجه عام.. ومن آثاره الفكرية: [بحث فى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية] و[تفسير سورة الحجرات] و[تفسير سورة الحديد وآيات من سورة الفرقان] و[تفسير سورتى لقمان والعصر] و[تفسير جزء تبارك] - أراد به أن يكون تكملة لتفسير جزء عم - لأستاذه الشيخ محمد عبده، وله كذلك: [الدروس الدينية] و[بحوث فى التشريع الإسلامى] و[كتاب الأولياء والمحجورون] و[الزمالة الإنسانية] - وهو بحث كتبه لمؤتمر الأديان بلندن - و[مباحث لغوية وبلاغية].. ولقد كانت له فى «صناعة الرجال العلماء» جهود فاقت جهوده فى ميادين الكتابة والتأليف[1]، عليه رحمة الله.

(١) الزركلى [الأعلام] - طبعة بيروت - الثالثة - و[موسوعة أعلام الفكر الإسلامى] - بإشراف: د. محمود حمدى زقزوق - طبعة القاهرة سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

أمــا الشــيــخ أمين الخولى [١٣١٣ ـ ١٣٨٥ هـ / ١٨٩٥ ـ ١٩٦٦م] فهو أمين إبراهيم عبد الباقى الخولى: واحد من العلماء المحققين المجددين الداعين إلى الإصلاح الاجتماعى العام..

ولد بقرية شوشاى، مركز أشمون، محافظة المنوفية- فى مايو سنة ١٨٩٥م ـ وبعد حفظ القرآن الكريم، تعلم بالأزهر الشريف.. وتخرج فى مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٢٠م، ليكون عضوا بهيئة التدريس فيها، وكانت يومئذ إحدى مؤسسات التجديد للفكر الإسلامى.. أنشأها سعد زغلول باشا [١٢٧٣ ـ ١٣٤٦ هـ/ ١٨٥٧ ـ ١٩٢٧م] سنة ١٩٠٧ م، تحقيقًا لمقاصد الإمام محمد عبده [١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م] فى إصلاح القضاء الشرعى..

ولقد تتلمذ الشيخ أمين ـ فى مدرسة القضاء الشرعى ـ على يد عـمـيـدهـا محمد عـاطف بـركـات بـاشـا [١٢٧٨ـ ١٣٤٢هـ/ ١٨٦١ـ١٩٢٤م].. وتـأثـر كثيرًا بمنـهـج الإمـام محمد عبده فى الإصلاح الفكرى والاجتماعى.

وكان الجدل الفلسفى والفكرى يستهوى «الشيخ أمين»، حتى اشتهر به وبرع فيه.. حتى كان يبرهن لطلابه على صحة الشىء ونقيضه!!.. ولقد أسهم فى ذلك اطلاعه الموسوعى على المذاهب الفلسفية اليونانية ـ مذاهب السوفسطائيين.. والقوريين.. والأبيقوريين.. والطبيعيين.. والعقليين.. والأفلاطونيين.. ولقد خاض العديد من المعارك الفكرية، وخاصة مع شيوخ الأزهر فى عصره..

وكان صاحب أسلوب متميز بالفحولة والعمق.. كما كان واحدا من شيوخ تحقيق التراث الإسلامى.. وكان الشيخ أمين

وطنيا ثائرًا، شارك فى الحركة الوطنية المصرية.. وكتب الأناشيد الحماسية، من مثل:

يـــا بـــنـــى الأوطـــان هـــيـــا

تـــطـــلـب الـــعـــلـــم ســـويـــا

وتـــعـــالـــوا نـــتـــفـــانـــى

نـــرفـــع الـــظـــلـــم الـشـــديـــد

كما شغف بالمسرح، وكتب له خمس مسرحيات.. وكوّن مع زملاء له جمعية فكرية أطلقوا عليها اسم «إخوان الصفا».. ثم «جمعية الأمناء» - التى ضمت تلاميذه من خريجى كلية الآداب.

* * *

■ وفى سنة ١٩٢٣م عين الشيخ أمين إماما للمفوضية المصرية بروما.. ثم بالمفوضية المصرية ببرلين، فتعلم الإيطالية وبعضا من الألمانية.. ثم عاد إلى مصر سنة ١٩٢٧م ليشغل وظيفة المدرس بكلية الآداب - جامعة فؤاد الأول - القاهرة حاليًا.. وفيها تدرج حتى أصبح رئيسا لقسم اللغة العربية.. وتولى وكالة الكلية.. ثم اختير مدرسا للفلسفة بكلية أصول الدين، فكتب لطلابها فصولا عن «نشأة الفلسفة» وعن «الملل والنحل».

وفى سنة ١٩٥٣ م عمل الشيخ أمين مستشارًا فنيًا لدار الكتب المصرية.. ثم مديرا عاما لإدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم، إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٥٥م.. وفى سنة ١٩٦١م عين عضوا بمجمع اللغة العربية.

■ ولقد كتب الشيخ أمين في التفسير.. والتشريع.. والفلسفة.. والأدب.. والنحو.. والبلاغة. ومن آثاره الفكرية: [تاريخ العقيدة الإسلامية.. بحث تاريخى اجتماعى] و[كتاب الخير] و[تاريخ الحضارة المصرية] و[نظرات الإسلام الاجتماعية.. أمس واليوم وغدًا] و[المجددون فى الإسلام] و[مناهج تجديد] و[فى أموالهم] و[كُناش فى الفلسفة وتاريخها] و[فن القول] و[السياحة الإسلامية] و[الجندية والسلم] و[رسالة فى آداب البحث والمناظرة] و[مالك بن أنس] و[أبو العلاء المعرى] و[مشكلات لغوية] و[فن الأدب المصرى] و[من هدى القرآن] و[صلات بين النيل والفولجا] و[دراسات إسلامية] و[رسالة الأزهر فى القرن العشرين] و[ورسالة تعدد الثقافات فى مصر وعلاجه] و[عن القرآن الكريم] و[صلة الإسلام بإصلاح المسيحية].. إلخ.. إلخ.. كما كتب عددًا من التعقيبات على بعض المواد فى دائرة المعارف الإسلامية ـ بالطبعة العربية ـ يصحح فيها ويضبط بعض مذاهب المستشرقين فى الإسلام..[1]

عليه رحمه الله.

* * *

كذلك رأيت أن من المفيد لجيلنا ـ من العلماء والقراء ـ أن يتعلم من هذه المقدمة التى كتبها الشيخ المراغى لكتاب الشيخ الخولى.. وكيف تعامل هذا الإمام الفذ ـ المراغى ـ مع عالم شديد

[موسوعة أعلام الفكر الإسلامى]. و[موسوعة الفلسفة والفلاسفة] للدكتور عبدالمنعم الحفنى ـ طبعة القاهرة سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

المراس مثل أمين الخولي!.. وكلاهما ـ مع تميز كل منهما فى الشخصية والتوجه ـ من تلامذة الشيخ محمد عبده..

ذلك أن صعوبة مراس الشيخ أمين الخولى هى التى حببت إلى الإمام المراغى محاورته، والاختلاف الراقى معه.. وفى ذلك قال ـ فى التقديم لكتابه هذا:

«والأستاذ الخولى، رجل يحب الجدل، ولا يقتنع إلا حيث يصح الاقتناع، وهذا الشأن منه هو الذى حبب إلىّ منازعته فى الرأى»..

كما أن إيمان الأستاذ الخولى بحرية الفكر وإجلاله للأستاذ المراغى هما اللذان جعلاه يسعد بنشر هذه المقدمة النقدية ـ فى مناخ ألف الناس فيه المقدمات مديحا وتقريظا، أو ما يشبهه ـ فقرنها بحاشية قال فيها:

لقد «ألف الناس من هذه المقدمات ما هو التقريظ أو مايشبهه، لكنما أراد الله أن تكون هذه المقدمة مثلا من حرية الفكر، ونزاهة النظر الدينى فى مناقشة مولانا الأستاذ الأكبر لنتائج هذا البحث، بما تركته بين يدى القارئ دون تعليق»

إنه درس فى تعامل الكبار نحتاج إلى فقهه والتعلم منه فى واقعنا الفكرى المعاصر..

* * *

■ لقد تحدث الإمام المراغى عن موضوع هذا الكتاب ـ [صلة الإسلام بإصلاح المسيحية] ـ باعتباره موضوعًا بكرًا لم يعالج من قبل.. وتحدث عن المؤلف ـ الشيخ أمين الخولى ـ فوص

«برجاحة العقل.. ودقة البحث.. والنزاهة فيه.. وسعة الاطلاع.. والاعتدال فى تقدير الأشياء.. والقوة فى الصبر على الدرس والبحث والاستنتاج».

وهى أوصاف عندما تصدر من مثل المراغى لمثل أمين الخولى تكون جديرة بالتأمل والتدقيق والتقدير..

* * *

■ أما الجانب النقدى - فى مقدمة الإمام المراغى لهذا الكتاب - فإنه لا يعدو الحوار العلمى الموضوعى حول هذه القضية:

- هل كانت كل التأثيرات الإسلامية فى الإصلاح المسيحى تأثيرات مباشرة؟

- أم أن منها ما كان مباشرا.. ومنها ما لفت مفكرى الإصلاح المسيحى إلى العودة لأصول المسيحية الأولى، فكانت تلك الأصول الأولى هى المنطلق المباشر للإصلاح؟

ولقد كان الأستاذ الخولى - غالبا - مع الرأى الأول.. بينما كان الإمام المراغى ميالا إلى الرأى الثانى..

وهو اختلاف مشروع يفتح الباب لمزيد من البحث العلمى فى هذا الموضوع المبتكر.. والهام..

* * *

■ بقيت إشارة إلى قضية خلافية، تناولها الأستاذ الخولى فى «خاتمة» هذا الكتاب.. وهى إنكاره سبق أحد من المسلمين - فى

٢- إن ما كتبه الشيخ محمد عبده - فى [رسالة التوحيد] عن صلة الإسلام بإصلاح المسيحية- واضح.. وحاسم.. ومن ثم فهو سابق بعشرات السنين لما كتبه الأستاذ الخولى - موسعًا.. وموثقًا - فى هذا الموضوع..

وإذا شئنا فقرات مما كتبه الإمام محمد عبده فى هذا الموضوع، فإننا نقدم الفقرات التى يقول فيها:

«حمل الغرب على الشرق حملة واحدة - [فى الحروب الصليبية] - لم يبق ملك من ملوكه ولا شعب من شعوبه إلا اشترك فيها. واستمرت المجالدات بين الغربيين والشرقيين أكثر من مائتى سنة، جمع فيها للغربيين بين الغيرة والحمية للدين ما لم يسبق لهم من قبل، وجيّشوا من الجند وأعدوا من القوة ما بلغته طاقتهم، وزحفوا على ديار الإسلام، وكانت فيهم بقية من روح الدين، فغلب الغربيون على كثير من البلاد الإسلامية، وانتهت تلك الحروب الجارفة بإجلائهم عنها. لم جاءوا؟ وبماذا رجعوا؟ ظفر رؤساء الدين فى الغرب بإثارة شعوبهم ليبيدوا ما يشاءون من سكان الشرق، أو يستولى سلطان تلك الشعوب على ما يعتقدون لأنفسهم الحق فى الاستيلاء عليه من البلاد الإسلامية. جاء من الملوك والأمراء وذوى الثروة والأعلياء جم غفير، وجاء ممن دونهم من الطبقات ما قدروه بالملايين. استقر المقام بكثير من هؤلاء فى أرض المسلمين وكانت فترات تُنطفئ فيها نار الغضب وتثوب العقول إلى سكينتها، تنظر فى أحوال المجاورين، وتلتقط من أفكار المخالطين، وتنفعل بما ترى وما تسمع، فتبينت أن المبالغات التى أطاشت الأحلام وجسمت الآلام

لم تصب مستقر الحقيقة، ثم وجدت حرية فى الدين، وعلما وشرعا وصنعة، مع كمال فى يقين، وتعلمت أن حرية الفكر وسعة العلم من وسائل الإيمان لا من العوادى عليه، ثم جمعت من الآداب ما شاء الله وانطلقت إلى بلادها قريرة العين بما غنمته من جلادها.

هذا ما كسبه السفار من أطراف الممالك إلى بلاد الأندلس بمخالطة حكمائها وأدبائها ثم عادوا به إلى شعوبهم ليذيقوهم حلاوة ما كسبوا.

وأخذت الأفكار فى ذلك العهد تتراسل، والرغبة فى العلم تتزايد بين الغربيين، ونهضت الهمم لقطع سلاسل التقليد، ونزعت العزائم إلى تقييد سلطان زعماء الدين والأخذ على أيديهم فيما تجاوزوا فيه وصاياه، وحرفوا فى معناه، ولم يكن بعد ذلك إلا قليل من الزمن حتى ظهرت طائفة منهم تدعو إلى الإصلاح والرجوع بالدين إلى سذاجته، وجاءت فى إصلاحها بما لا يبعد عن الإسلام إلا قليلا، بل ذهب بعض طوائف الإصلاح فى العقائد إلى ما يتفق مع عقيدة الإسلام إلا فى التصديق برسالة محمد ﷺ وأن ما هم عليه إنما هو دينه، يختلف عنه اسما ولا يختلف معنى، إلا فى صورة العبادة لا غير.

ثم أخذت أمم أوربا تفتكُّ من أسرها، وتصلح من شئونها، حتى استقامت أمور دنياها على مثل ما دعا إليه الإسلام، غافلة عن قائدها، لاهية عن مرشدها، وتقررت أصول المدنية الحاضرة التى تفاخر بها الأجيال المتأخرة من سبقها من أهل الأزمان الغابرة.

هذا ظلٌ من وابلة، أصاب أرضا قابلة، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

جاء القوم ليبيدوا فاستفادوا، وعادوا ليفيدوا، ظن الرؤساء أن في إهاجة شعوبهم شفاء ضغنهم، وتقوية ركنهم، فباءوا بوضوح شأنهم، وضعضعة سلطانهم.

وما بيّناه في شأن الإسلام، ويعرفه كل من تفقه فيه، قد ظفر به كثير من أهل النظر في بلاد الغرب فعرفوا له حقه، واعترفوا أنه كان أكبر أساتذتهم فيما هم فيه اليوم. وإلى الله عاقبة الأمور»[1].

هذا ما كتبه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في [رسالة التوحيد].. وهو برهان ساطع وقاطع على أن فضل السبق في إقرار حقيقة صلة الإسلام بإصلاح المسيحية هو للأستاذ الإمام.. كما أن فضل الدراسة والتفصيل والتوثيق لهذه القضية هو للشيخ أمين الخولي..

* * *

وحتى نتعلم نحن من علم هؤلاء العلماء الأعلام.. ومن أخلاقيات العلم عند هؤلاء الرواد.. كانت كتابة هذه الصفحات التي نمهد بها بين يدي هذا الكتاب النفيس.. الذي كتبه الشيخ أمين الخولي.. وقدم له الإمام المراغي.. والذي نهديه إلى العلماء والباحثين والقراء..

سائلين المولى - سبحانه وتعالى - أن ينفع به.. وأن يهيئ من الباحثين المعاصرين من يزيد هذا الموضوع درسًا وتفصيلاً وتوثيقًا.

د. محمد عمارة

---

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج٣ ص ٤٧٦ - ٤٧٨. دراسة وتحقيق. د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣ م.